مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية العدد (٣) ج٢ – سبتمبر ٢٠٢٢م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-541X الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢-٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eg

ملامح تداولية في تراثنا النحوي

أ.د. كمال سعد أبو المعاطي
أستاذ النحو والصرف والعروض
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

Journal of Arabic Language and Islamic Sciences Vol (3)p2 – Sept 2022
Printed ISSN :2812-541X On Line ISSN : 2812-5428
Website : https://jlais.journals.ekb.eg/

ملامح تداولية في تراثنا النحوي

أ.د. كمال سعد أبو المعاطي
أستاذ النحو والصرف والعروض.
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

يتناول هذا البحث بعضَ مفاهيم وقضايا الدرس التداولي الحديث في محاولة للبحث عن أصولٍ لها عربية ، خاصة بعد أن صارت التداولية تحتل في الدرس اللغوي مكانةً لا يمكن تجاهلها أو الحد من قيمتها ؛ وذلك بما أحدثته من ثورة في مجال الدراسات اللغوية الحديثة ،إذ تقوم في جوهرها على رفض ثنائية اللغة/ الكلام /(Langue parole)التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة (دوسوسير) والقائلة بأن (اللغة) وحدها دون (الكلام) هي الجديرة بالدراسة العلمية.

وقد حاول بعض الباحثين حصر المهام والأهداف الرئيسة للتداولية ، وإن كان من الصعوبة بمكان تحديدها ؛وذلك لاتساع مجالها وتعدد اهتماماتها ،إذ يشمل البحث فيها كل جوانب اللغة تقريبا ، إلا أنه يمكن القول بأن أبرز تلك المهام تتمثل في :

١- العناية بتتبع أثر القواعد المتعارف عليها من خلال العبارات الملفوظة وتأويلها ، كما تهتم أيضا بتحليل الشروط التي تجعل العبارات جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة [١] .

٢- السعي لإيجاد مبادئ تشتمل على اتجاهات مجاري فعل الكلام المتشابك الإنجاز الذي يجب أن يوجد عند إنجاز العبارة كي تصير ناجحة ومفهومة .

٣- محاولة البحث في كيفية تماسك ظروف نجاح العبارة كفعل إنجازي ، أي إنزال الأعمال المنجزة في موقف (سياق) معين ،وصياغة الشروط التي تعين أيَّ العبارات تكون ناجحة في موقف ما ، والذي ندعوه "السياق" .

[١] – انظر : الوظائف التداولية في اللغة العربية ،أحمد المتوكل ، المغرب ، ط١ /١٩٨٥ ، ص ٠٨ .

وكما نرى فإن اهتمام التداولية يتجه في الأساس نحو تحويل دراسة الموضوعات من كونها مجرد خطاب . إلى كونها أفعالا منجزة ،تتمثل في أفعال الكلام المنبثقة عن الاستعمال ؛بمعنى أنها ترفض النظر إلى اللغة بوصفها – فقط– نظاما محددا ، يهتم بالسؤال ،ما اللغة ؟ أو النظر إليها بوصفها بنية وعلامات لغوية يمكن تحديدها وتحليلها بشكل مستقل بعيدا عن السياقات والمواقف الكلامية التي تستخدم فيها ، بل ترى أنه يجب أن تُدرس اللغة في سياق الفعل الإنساني ، ومن ثم ينبغي أن نهتم بالسؤال : فيمَ تستخدم اللغة ؟ وأن نهتم بالمنطوق بوصفه فعلا اتصاليا ، لا يمكن أن يُميَّز إلا بالنظر إلى مقاصد الكلام ،وداخل سياقات موقفية.[٢] .أي: "أن المنهج التداولي يحوّل مجرى الدراسات التي كانت مقتصرة على البنية المجردة لموضوع العبارة . وهذا مذهب البنيوية . إلى الدراسة التي تأخذ في الحسبان دراسة هذه البنية لإنجاز العبارة ، أي الحث على تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة ، أو ما يمكن أن ندعوه" تأويلًا تداوليًا للعبارة " [٣].

ومما سبق يتضح الإطار العام للهدف الذي تصبو إليه التداولية ، والذي دأبت تحث الخطى للوصول إليه . فهي تسعى لتتجاوز النظرة الصورية للغة التي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية السابقة، لتدعو إلى ضرورة العناية الكافية بالظروف

المواتية والمناسبة عند استعمال اللغة ، منطلقة في ذلك من اقتناعها من أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية ، وظيفة التواصل[٤].

---

[٢] انظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين ،زيبيلة كريمر ،ص ١٣٣،ترجمة :د.سعيد بحيري ،مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ٢٠١١م.

[٣] التداولية: الاهتمامات والمفاهيم والأهداف ، رخرور أمحمد ، نشرت في : زاوية أقلام متخصصة، مجلة القلم النقدي الاكترونية .وانظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، لزيبيله كريمر ،ص ١٣٣ومابعدها ، ترجمة د.سعيد بحيري ،مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠١١م.

[٤] الوظائف التداولية في اللغة العربية ،أحمد المتوكل ، المغرب ، ط١ /١٩٨٥ ، ص ٨،٩

وبناء عليه فإن (التداولية) تعنى في المقام الأول بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومستعمليها أو متداوليها من الناطقين بها. حيث تهتم بتحليل عمليات الكلام ،ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي في المقامات المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب ، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب " رسالة تواصلية واضحة وناجحة ، ومن ثم فهي تهدف إلى "تطوير نظرية لما يسمى بـ " أفعال الكلام " ، أي : للأنماط المجردة أو للأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصيات التي تنجزها أثناء الكلام،مفرقة بذلك بين اللغة والكلام، ورافضة اعتبار هذا الأخير موضوعاً غير قابل للدراسة المنهجية.

وسوف يكون تركيزنا في هذا البحث منصبا على كل ما يرتبط بالدرس التداولي،وله صلة أو علاقة بالتواصل اللغوي من حيث الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بالعناصر الفاعلة في الإبلاغ، والمطابقة مع الواقع وعدمه؛ ذلك أن التأمل في جهود القدماء ودرسهم اللغوي في التراث العربي،يكشف عن وجود بعض المقولات والإشارات التي تمثل جانبًا مهمًا من المبادئ التداولية الحديثة؛بل إن بعض هذه التطبيقات والمعالجات اللغوية لكثيرٍ من الظواهر تكاد تتوافق –إن لم تتطابق تمامًا– مع ما انتهت إليه بعض تلك الجهود التداولية . يقول (سويرتي) منبها على أسبقية العرب ومعرفتهم أصول هذا الاتجاه : "إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يَذيع صيتُه بصفته فلسفةً وعلمًا، رؤيةً واتجاهًا أمريكيًا وأوربيًا، فقد وُظِف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة[٥].إذ من المعلوم أن بعضًا مما توصل إليه بعض

[٥] –انظر: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ،محمد سويرتي ،(مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،دولة الكويت، مج ٢٨، ع٣ ،يناير/ مارس ٢٠٠٠ ،ص ٣٠-٣٢

الدارسين القدماء من حقائق يتقارب في مفهومه ودلالته مع ما انتهت إليه هذه الدراسات التداولية الحديثة ومنها:"أن اللغة وسيلة تواصلٍ للتعبير عن الأغراض. وبذلك عرّفها ابن جني في قوله :"أما حدّها فإنها أصواتٌ يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم" وهذا التعريف غنيٌّ بالقيم التداولية، وأهمها: أن اللغة ذات قيمة نفعية، تعبيرية [٦]، وقولهم "إنّ لكلٍّ مقامٍ مقالًا "،وأنه من الواجب مطابقة الكلام لمقتضى الحال "إلى غير ذلك من المقولات والممارسات التطبيقية التي تؤكد المعرفة المبكرة لدى علمائنا بعدد من المفاهيم اللغوية التي تتقارب في مجملها مع بعض مبادئ التداولية ومنها :

–أن التكلم يتم لتحقيق غايات وأهداف معينة ،أو لإشباع حاجات أو الحصول على فائدة.

– وأن مستخدم اللغة يستطيع إضفاء دلالات أخرى غير ظاهرة على المفردات المستعملة في المواقف المتعددة بحيث تتناسب وتلك المواقف.ولذلك تعددت أشكال الاهتمام بدراسة الخطاب والإقناع عند العرب ،فتناولوا نص الخطاب في ذاته ودرسوا ما يرتبط بالمخاطِب وطريقة أدائه، والمخاطَب وطريقة تلقيه، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر أو مخالفته ...إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن يجمعها موضوع التداولية اللسانية، والتي يمكن أن تمثل مبادئ رائدة للتفكير التداولي اللغوي عند العرب.

ولعل من أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب، علوم البلاغة، والنحو، والنقد، والخطابة، إضافة إلى ما قدمه علماء الأصول الذين يمثلون –إلى جانب البلاغيين– اتجاهًا فريدًا في التراث العربي، يربط بين الخصائص الصورية للموضوع

[٦] انظر: الخصائص ،لأبي الفتح عثمان ابن جني ،ص ،تحقيق :محمد علي النجار .و اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري،أحمد المتوكل ،ص ٨٥ منشورات عكاظ،المغرب، ١٩٨٩.

وخصائصه التداولية[٧].وقد عدّ أحمد المتوكل الإنتاجَ اللغوي العربي القديم يؤول في مجموعه (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) إلى المبادئ الوظيفية، ومن أهم ملامح ذلك عنده[٨] .

– أن العلوم المذكورة سابقًا تخص القرآنَ الكريم، وهو موضوع دراستها .وبذلك فالوصف اللغوي آنذاك لم يكن منصبًا على الجملة المجردة من مقامات إنجازها، بقدر ما نظر إلى النص بعدِّه خطابا متكاملا.

– أن الوصف اللغوي كان يربط بين المقام والمقال، وبين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية.

– أنه يمكن التُمييز في الدراسات القديمة بين قسمين من البحوث؛ قسم يعتمد على الاهتمام بالخصائص التداولية تأويليا؛ "مطابقة المقال لمقتضى الحال"، نحو "مفتاح العلوم "للسكاكي. والآخر يعتمد على الاهتمام به توليديا؛ بمعنى أن الخصائص التداولية ممثَّلة في الأساس ذاته، نحو"دلائل الإعجاز"للجرجاني.

و يبرز في هذا المجال اهتمام النحاة والبلاغيين بدراسة أغراض الأساليب، وخروجها من الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام، وسيأتي بيان ذلك لاحقًا. ومن القضايا التي اهتم بها علماء الأصول ونلمح فيها بعضًا من المفاهيم التداولية، دراسة العلاقة بين اللفظ وما يحيل عليه ،حيث نظروا إلى العبارات اللغوية مثلا: من حيث إفراد المحال عليه وتعدده، وميزوا بين عبارات عامة تحيل على معان متعددة، نحو (إنسان، كل، ومَنْ الموصولة...)، وعبارات خاصة تحيل على معنى مفرد،نحو:

[٧] انظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري،أحمد المتوكل ص٣٥

[٨] انظر :السابق نفسه ص ٣٥ وما بعدها .

(رجل، قلم) ونظروا إليها من حيث تعيين المحال عليه أو عدم تعيينه. وميزوا بين عبارات مطلقة لا يتعين فيها المحال عليه، وعبارات مقيدة تحيل على معنى معين، وهي الفكرة نفسها التي يعرضها اللغويون في باب إطلاق الألفاظ وتقييدها. أضف إلى ذلك بعض نقاط التلاقي بين ما تناوله العلماء العرب القدامى وبين ما يقترحه الوظيفيون المحدثون نحو:دراسة ظواهر الإحالة، أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها وكذا الاهتمام بدراسة" أفعال الكلام" ،حيث تحدِّد الوظيفةُ – جزئيًا على الأقل– البنيةَ، ممّا يستدعي ربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة،ومن ثم دراسة مجالات الترابط بين البنية والوظيفة.[٩]

وعلى أية حال فإن بعض الباحثين يرى أن أقل ما تعنيه مجالات اللقاء هذه بين الفكر العربي اللغوي القديم، وبين ما يقدَّم حديثًا من بحوث في المجالات نفسها، أنه لا يمكن التأريخ لتطور الفكر اللغوي بإغفال حقبة من حقبه، ودون ذكر ما أسهم به اللغويون العرب في هذا التطور.

وأما عن قيمة المنهج التداولي عموما، فمن الممكن أن يعد من أهمّ ما يمكن الاعتماد عليه في تقويم الدراسة التراثية، وذلك لما يتميز به من قواعد محددة، وشرائط مخصوصة وآليات صورية، يقول أحد الباحثين : "لا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي الذي يتميز عن غيره من طرق معالجة المنقول، باستناده إلى شرائط مخصوصة، يُفضي عدمُ استيفائها إلى الإضرار بوظائف المجال التداولي، فضلا عن استناده إلى آليات صورية محددة"[١٠]. ،وسوف نحاول فيما يأتي الكشف عن بعض هذه المقاربات الفكرية والممارسات التطبيقية التي تلتقي مع بعض

[٩] –انظر :السابق نفسه .ص ٣٥

[١٠] انظر:تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٣، ص ١٦.

المفاهيم اللغوية في تراثنا وفكرنا اللغوي وبيان مدى اقترابها أو ابتعادها مما انتهى إليه علماء هذا الاتجاه .

أولا: في المفهوم المعجمي لـ (التداولية) :

يرجع مصطلح (تداولية) في أصله إلى مادة (دَوَل)، التي وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين:"أحدهما يدل على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعفٍ واسترخاء، قال أهل اللغة: اِنْدَالَ القومُ، إذا تحولوا من مكانٍ إلى مكان. ومن هذا الباب، تداولَ القومُ الشيء بينهم: إذا صار من بعضهِم إلى بعض. والدَّولة والدُّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب ، وإنما سُميا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ، ذاك،ومن ذاك إلى هذا.[١١]"

فمدار اللفظ لغةً : هو التناقل والتحول، بعد أن كان مستقرًا في موضع ومنسوبًا إليه، وقد اكتسب مفهوم التحول والتناقل من الصيغة الصرفية (تفاعل) الدالة على تعدد حال الشيء، كما ينتقل المال من هذا إلى ذاك أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء...

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج عن هذه الدلالات ، فقد جاء في "أساس البلاغة" : "دالتْ له الدولة، ودالت الأيام بكذا .وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه. وعن الحَجّاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدلنا منها...والله يداول الأيام بين

[١١] - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ،تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ط٢، ١٩٩١، ٣١٤/٢.

الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دُوَل وعُقَب ونُوب.وتداولوا الشيء بينهم"[١٢].وفي معاجم أخرى، الدَّولة: انقلاب الزمان من حالٍ إلى حالٍ، الدُّولة: العقب (النوبة) في المال. وتداولوه: أخذوه بالدول أي نُوبا، وتداولته الأيدي، أخذته هذه مرة، وهذه مرة[١٣].

وقد تناول طه عبد الرحمن بعض هذه المفاهيم في محاولته تقديم منهج للتقريب التداولي للتراث الإسلامي، فكان ممّا ذكره" :أن الفعل (تداول) في قولنا: (تداول الناس كذا بينهم)، يفيد معنى : تناقله الناس وأداروه بينهم"[١٤]. كما جعله قسيما للفعل (دار) الذي من دلالته نقل الشيء وجريانه،نحو قولنا: دار على الألسن؛ جرى عليها، وقدخلُص في عرضه إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل ، ويدور حوله هو:" التواصل"، وأن مقتضى التداول عنده أن يكون القول موصولا بالفعل[١٥].

وعلى أية حال فإن مجموع المعاني التي أثبتتها المعاجم العربية لأصل المصطلح تدور حول : التحول والتناقل الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، وتلك حال اللغة؛ التي نراها متحوِّلةً من حالٍ لدى المتكلم إلى حالٍ أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين أفراد الجماعة اللغوية يتداولونها فيما بينهم؛ لتحقيق التواصل ، وإنجاز الأفعال ؛ ولذلك كان مصطلح (تداولية) لدى كثير من الباحثين أكثر ثبوتا –بهذه

---

[١٢] – أساس البلاغة، الزمخشري ،تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان١٩٨٢م، ص١٣٩.

[١٣] – انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي ، دار الجبل، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج٤، ص٤٢و مختار الصحاح، الرازي ،دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص٢١٥ .و تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤ ,م–ج ١٤، باب اللام، ص ٢٤٥. ولسان العرب، ابن منظور ،دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت،مادة (دول)، مج١١ص٢٥٢–٢٥٣.

١٠– تجديد المنهج في تقويم التراث،طه عبد الرحمن، ص٢٤٣.

[١٥] – انظر السابق نفسه،ص٢٤٣–٢٤٤.

الدلالة– من المصطلحات الأخرى مثل : الذرائعية، النفعية، السياقية...وغيرها. وبشكل عام فإن التداولية في ذاتها، لا تنحصر في مجال معين فتكتسب تعريفًا محددًا، بل إن من الباحثين من يعتقد أن في تحديد موضوع للتداولية تحجيرًا لواسع ،وإحالةً دون التعمق الدقيق في دراسة اللغة بإمكاناتها الواسعة ، وبالرغم من ذلك فقد حاول بعضٌ آخر وضع تعريف محدد لها من خلال النظر في مهمتها على غرار ما فعل " موريس " حينما عدَّ التداولية : " العلم الذي يعالج العلاقة بين الأدلة ومؤوليها " ، كما حصر كل من " ريكاناتي " و" ديلر " وظيفة التداولية في أنها " تخصص يدرس استخدام اللغة داخل الخطابات والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللغة "[١٦]،وقيل : هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية تُعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحَدثية والبشرية .كما تُحدُّ التداولية بأنها : دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية[١٧] ، أي أنها تهتم بدراسة دور اللغة في تحقيق التواصل ،والبحث عن وسائل وكيفيات إنجاز هذا الدور . على أنه يمكن القول بأن التداولية _بشكل عام_ علمٌ يهتم بدراسة الكيفية التي يجب أن يسلكها مستخدموا اللغة لفهم أفعالهم الكلامية وكيفية إنتاجهم لها .وعلى أية حال فإن تعدد مجالات التداولية وامتداد اهتماماتها أكسبها فيما يبدو تعددًا في مفهوماتها . "ولذلك فإن ما ذهب إليه بعضهم من تفضيل التعبير عنها بـ (المجال المفهومي) ربما كان مقاربًا بشكل ما لاتساع دلالتها، وموحيًا، من ناحية أخرى بهذا الاتساع والامتداد."[١٨]

ثانيا :الأفعال الكلامية :

[١٦] انظر : مجلة " lapragmatique" العدد٤٢ ، مايو ١٩٧٠ ، دار لاروس ، و التداولية : الاهتمامات والمفاهيم والأهداف ، أمحمد رخرور ، مقال منشور على موقع مجلة " القلم النقدي " زاوية : أقلام متخصصة .

[١٧] انظر :التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ص ١٨ ،١٩ ترجمة :صابر الحباشة .دار الحوار ، سورية ،٢٠٠٧م.

[١٨] انظر :التّفكير اللّغوي التّداولي عندَ العرب،مصادره ومجالاته،خليفة بوجادي ،مقال منشور على موقع ...الألكتروني .

يقع مفهوم " الأفعال الكلامية "في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصور المعاصرين ، ويشكل جزءًا أساسيًا من بنيته النظرية ، وقد أضحى نواةً مركزيةً لكثيرٍ من البحوث التداولية ، وعليه فإنّ البحثَ في هذا الموضوع هو بحثٌ في مضغة الاهتمام الأولى للتداولية اللغوية ، وأساسٌ من أكبر أسسها [١٩].

ولا يتضح مفهوم " الأفعال الكلامية " إلا بالرجوع إلى الإطار المفاهيمي لنظرية ما سمي بـ " نظرية الأفعال الكلامية " التي جاء بها الفيلسوف المعاصر ج.ل.أوستن ، وطورها تلميذه ج.سيرل ، بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية .فقد تعمق "أوستن "في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية وتختلف عما كان معروفًا ومتداولًا عند علماء الدلالة اللغويين ، وخصوصًا البنيويين منهم ، فقد كان يلح على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة ، وجاء بمفهوم جديد لـ " القول الإنشائي " لم يقنع فيه بمعيار الصدق والكذب ، خاصة بعد أن تبين له أن بعض الأقوال المشكلة حول جملة من الأفعال المستعملة لا ينسحب عليها هذا المعيار ، فهي جمل " لا تصِف ، ولا تنْقِل ، ولا تُقرر شيئا البتة ، وليست صادقة ولا كاذبة ، وهي كثيرة ، كما أن مجرد النطق بها يعني تنفيذ عمل ، أو جزء من ذلك التنفيذ ، فمن ذلك : كلمة " نعم " التي تقال عند عقد الزواج ، فمجرد النطق بها يعني قبول امرأة معينة زوجة شرعية ، و يترتب على ذلك التزام مادي واجتماعي وشرعي ...ومنه أيضا ما يقال من ألفاظ في الوصية الشرعية والهبات ...وهكذا فإن هذه الأقوال الإنشائية تعود إلى فعل شيء ما بمجرد التلفظ بها ، بشرط توفر شروط نجاح معينة يتمثل أهمها في سياق الموقف الذي تتم فيه ، ومن الواضح أن هذه الجمل " لا تصف أعمالًا ، بل هي في حد ذاتها أعمالٌ "ولا شك أن هذه النظرة قد رسخت لفكرة مفادها " أن العنصر الأساس في التواصل

[١٩] انظر: التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي ، ص ٥

الإنساني ليس مقطعًا داخليًا في اللغة (مثل الكلمة) ، وإنما هو عمل القول أو إنشاء القول . وعليه فإن ما جاء به " أوستن "يُعدُّ – لدى المحدثين – ولادة لنظرية جديدة تعنى بقول المتكلم الذي يعد عملًا حقيقيًا يُضاهي الحدث المادي المنجز بواسطة الجوارح . وهي نظرة تختلف مع الرؤية القديمة للغة والتي كانت تنظر إليها على أنها مجرد أداة لوصف الواقع أو التعبير عنه منفصلة عن الكلام .[٢٠] كما أكد "سيرل" وآخرون: " أن عملية توجيه التحليل نحو الكلام ليست مجرد دراسة للكلام بالمصطلح " السوسيري "، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة بكليتها ، بما فيها الكلام ."[٢١] وبهذا تتحدد التداولية عندهم على أنها "جزء من دراسة أعم: هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي ، بمعنى أنه ينتقل بها من المستوى اللغوي والنحوي والنفسي للغة، إلى المستوى الاجتماعي ،موسعا بذلك دائرة التأثير والتأثر، من خلال استعمال اللغة لتحقيق التواصل.

وبالرجوع إلى ما كتبه هؤلاء حول هذا المفهوم ،يتبين أن "الفعل الكلامي " يعني :التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، ومن ثم يراد به : الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ، ومن أمثلته : الأمر والنهي والوعد والسؤال والتعيين والإقالة ، و..التعزية والتهنئة ...فهذه كلها أفعال كلامية .[٢٢]

ويرى سيرل : أن الفعل الكلامي هو أصغر وحدة لاتصال إنساني ، يمارس بها المتكلم فعلًا تجاه سامع.

---

[٢٠] انظر :التداولية ، من أوستن إلى غوفمان ،فيليب بلانشيه ، ترجمة ، صابر الحباشة ،دار الحوار للنشر والتوزيع – سورية ، ط ١– ٢٠٠٧م ص ٥٣–٥٥، ولسانيات الخطاب : الأسلوبية والتلفظ والتداولية ،ص ١٩٩، صابر الحباشة .

[٢١] انظر : السابق ص ٥٦

[٢٢] التداولية عند العلماء العرب ،ص ١٠

وأنه يتكون من مكونين :محتوى قضوي ، ووظيفة إنجازية ، ويضع تحت الأول ، جوانب الإحالة والحمل ، ويعلق الوظيفة الإنجازية بما يقصد المتكلم أن يفعل بنطق جملة ما في موقف معين ، سواء أنطق تقريرًا أو أمرًا أو سؤالا أو وعدًا . وتوصف أفعال إنجازية وقضوية من خلال التعبير بكلمات في سياق الجملة في سياقات معينة بشروط معينة ومع مقاصد معينة "[٢٣].

فمن منظور نظرية " الفعل الكلامي " لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية ، أو رموزًا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية ، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه .[٢٤]

وقد توصل أوستن إلى تقسيم " الفعل الكلامي الكامل " إلى ثلاثة أفعال فرعية هي :

أ – فعل القول أو الفعل اللغوي :ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة ..وهي المستويات اللسانية المعهودة : المستوى الصوتي ، المستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي .

ب – الفعل المتضمن في القول : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي ، إذ " إنه عمل ينجز بقول ما "وهذا الصنف هو المقصود من النظرية برمتها ، ولذا اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال : القوى الإنجازية ، ومن أمثلة ذلك : السؤال ، إجابة السؤال ، إصدار تأكيد أو تحذير ، وعد ، أمر ، شهادة في محكمة ... إلخ .فالفرق بين الفعل الأول في (أ) والفعل الثاني في (ب) أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء ، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء .

[٢٣] انظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، ص ٨٩، ترجمة : د. سعيد بحيري
[٢٤] انظر :التداولية عند العلماء العرب ص ١١

ج – الفعل الناتج عن القول : ، وسماه بعضهم " الفعل التأثيري " وفيه يكون المتكلم قائمًا بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ...[٢٥]

وقد لاحظ أوستن أن للفعل الكلامي الكامل ثلاثة خصائص تميزه عن غيره من الأفعال ، تتمثل في :أنه فعلٌ دالٌ، وأنه فعلٌ إنجازيّ (أي يُنجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلم) وأنه فعل تأثيري : (أي يترك آثارًا معينة في الواقع ، خصوصًا إذا كان فعلًا ناجحًا).

ويقوم كل فعل كلامي على مفهوم " القصدية " [٢٦] ، وهي من الجديد الذي خالف به " أوستن " الفلاسفة الكلاسيكيين ، ووافق به أسلافه من فلاسفة التحليل ،حيث حرص على إدخال مفهوم "القصدية "في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية ، وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف "هوسرل"...وتتجلى مقولة " القصدية" بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب ، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية .[٢٧]

كما قسم "سيرل "الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام ، ورأى أن كل منطوق يمكن أن يلحق بقسم منها مادام لا يخالف شرطًا من الشروط الضرورية والكافية لتلك الأفعال ، وأجاز توسيع نطاق تلك الأفعال لتشمل أفعالا إنجازية مثل : يأمر ، يعِد ، ويُهنئ ، والتي تشير دلالتها إلى أنه يُقْصد بذلك :فعل كلامي توجيهي ، وفعل كلامي التزامي ،وفعل كلامي تعبيري ...، كما لفت النظر إلى أهمية الموقف الذي ينطق فيه الكلام ، مشيرًا إلى دوره في تحديد الغرض الإنجازي لمنطوقٍ ما بدقة ، مشيرًا إلى أنه " لا

[٢٥] السابق ص ٤٢، وانظر : نظرية أفعال الكلام العامة ، أوستن ،ص ١٣٠ ، ترجمة عبد القادر قنيني .

[٢٦] انظر : التداولية عند العلماء العرب ، ص ٤٤

[٢٧] انظر : السابق ،ص ١٠

يجب علينا في ذلك أن نفهم الموقف بمفهوم ضيق ، وألا نحصره فقط في موقف الاستعمال ، بل يجب توسعته ليشمل الإطار الاجتماعي والثقافي الكلي ."[٢٨]

كما تحدث عن " الأفعال الكلامية غير المباشرة "وهي : منطوقات لا يكمن هدفها الإنجازي في الغرض الإنجازي الذي يشار إليه بالمؤشرات اللغوية " وهي تشبه عندنا خروج الكلام عن غرضه إلى إفادة معنى آخر ، يحدده موقف الاستعمال والظروف والملابسات المحيطة بالكلام ، فالمتكلم هنا يقصد فيما يبدو شيئًا آخر غير ما يقول . يفهم هذا من خلال الأمثلة التي قدمها لبيان مقصود هذه النوعية من الأفعال ، فالمنطوق : "هل تستطيع أن تناولني "الذي ينطق عند الأكل ، ليس سؤالا ، بل هو " رجاء ".والمنطوق : " أنصحك بألا تقول هذا مرة أخرى ." ليس نصيحة بل هو " تهديد ". إن الفرق بين القصد والقول هنا واضح، ويُمكن أن يُحدد ، ومعنى هذا من وجهة نظره : أن تحويل القول المنطوق إلى الفعل الكلامي المقصود الذي يؤدي إلى تحديد المنطوق المحدد بأنه عنصر لقسم فعل كلامي معدول عن مؤشراته الإنجازية ، يتم بمساعدة تلك المجموعة من الشروط والقواعد التي أسسها سيرل بوصفها آلة قاعدية خاصة بنظرية الفعل الكلامي ."وعلى هذا النحو يظهر في الأفعال الكلامية غير المباشرة ما يعد مطلقًا بالنسبة لوضع أفعال الكلام : فالفعل الكلامي ليس ما يُقال حقيقة بل ما يُستعمل في المنطوق (المعين)[٢٩].

وإذا طبقنا هذا المعاني على اللغة العربية، فإن المقاصد والمعاني والإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه : كمعاني الأساليب العربية المختلفة ، خبرية كانت أم إنشائية ، ودلالات حروف المعاني "، ودلالات " الخوالف " وأصناف أخرى من

[٢٨] انظر : اللغة والفعل الكلامي والاتصال، ص ١٠٠

[٢٩] انظر : السابق ص ١٠١

الصيغ والأساليب العربية ...هي التي تمثل نظرية " الأفعال الكلامية "في التراث العربي .[٣٠]

إذ من المعلوم في تراثنا وفكرنا اللغوي ما قام به البلاغيون من تقسيم الكلام كله إلى قسمين :خبر وإنشاء . فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب بأن يكون للنسبة المعنوية التي تضمنها الكلام خارج ،أي : وجود في نفس الأمر يوافقها تارة ولا يوافقها أخرى. فإن وافقها الخارج فهي صادقة ، وإن خالفها فهي كاذبة ؛ولأن الخبر يُقصد منه حكاية ما في الوجود الخارجي فلا مناص إذن من عرض نسبته على ما في الخارج. فإن نشأ عن ذلك العرض علم بأنها مطابقة فهو صادق وإن كانت مخالفة للخارج فهي كاذبة.

والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب ؛لأنه لم يُقصد منه حكاية ما في الخارج ،بل هو كاسمه إحداث معنى بالكلام لم يكن حادثًا من قبل في قصد المتكلم. وينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي. فالطلبي هو الأمر، والنهي،والاستفهام، والتمني، والترجي، والنداء. وغير الطلبي. القَسم، والتعجب، وإنشاء المدح والذم نحو نِعْم وبئس. وإنشاء الوجدانيات كالتحسر والفرح والترحم، وصيغ العقود نحو أَبيع وأشهد، والأجوبة الدالة على الامتثال كجواب النداء نحو لبيك وسمعًا وطاعة، وصيغها وأدواتها وأحكامها مقررة في النحو. وقد يخرج الإنشاء عن صورته لإفادة معنى جديدًا ، أو لنقل لإنجاز معنى جديدا ، ومن صور ذلك :

أن يأتي الإنشاء في صورة الخبر وهو ما يعبرون عنه بالخبر المستعمل في الإنشاء مثل استعماله في الدعاء في نحو قولك : (رحمه الله). وفي الطلب نحو قول الظمآن :إني عطشان. والتحسر نحو قول الشاعر :

هواي مع الركب اليمانيين مصعد جنيب وجثماني

[٣٠] انظر : التداولية عند علماء العرب ، ص ١٠

بمكة موثق .

والسؤال نحو قوله تعالى : " ربِ إني لما أنزلت إلي من خير فقير".

وقد تستعمل بعض صيغ الإنشاء في بعض فيجيء الأمر للتمني نحو قول امرئ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

فقوله :انجل ،تمن. وقد يأتي للتعجب نحو قوله تعالى : "انظر كيف ضربوا لك الأمثال " ، ويجيء الاستفهام للنهي نحو قوله تعالى :"أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه ". وللأمر نحو" فهل أنتم منتهون". وللتعجب نحو قوله تعالى :" وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ".

ويجيء النداء للتعجب في باب الاستغاثة نحو قول امرئ القيس:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل .

ولذلك يصح أن تعد تلك المعاني والمقاصد التواصلية " أفعالا كلامية "في منظورنا ، باعتبار أننا لا ننظر إليها على أنها مجرد " دلالات " و " مضامين "لغوية ، وإنما هي فوق ذلك " إنجازات وأغراض تواصلية ، ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات ، والتأثير في المخاطب : بحمله على فعلٍ أو تركه أو دعوته إلى ذلك ، أو تقرير حكم من الأحكام ، أو توكيده أو التشكيك فيه ، أو نفيه ، أو وعد المتكلم للمخاطب ، أو وعيده ، أو سؤاله واستخباره عن شيء ، أو إبرام عقد من العقود ، أو فسخه ، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة ...إلخ .

وقد تناول بعض نحاتنا العديد من الظواهر الأسلوبية في محاولة للوقوف على بعض أسرارها وما تحققه من فائدة أو إنجازات ومقاصد في ضوء ما تُقدم فيه هذه الأساليب

من سياقات ومواقف لغوية متنوعة ، فقد يلجأ المتكلم إلى اختيار ألفاظ معينة دون غيرها ، ويضعها في ترتيب معين ، ليعبر عن معنى محدد ، وقد يضطر إلى إحداث تغيير في مواقع عناصر التركيب ويعدل بها إلى صورة أخرى ؛مراعاة لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها ، إضافة إلى سعيه وحرصه على مطابقة خطابه لحال مخاطبه الذي يتواصل معه .والنظر فيما قام به سيبويه وابن جني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من النحاة يقدم الدليل الواضح على أنهم فهموا من اللغة أنها : " لفظ معين ، يؤديه متكلم معين ، ليتوجه به إلى مخاطب معين ، لأداء غرض تواصلي معين ، وأنها ليست مجرد منظومة من القواعد الذهنية المجردة ، كما هو الشأن في التصور البنيوي الصوري ."[٣١]

ومن منظور نظرية " الفعل الكلامي " لم تكن اللغة عندهم مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية ، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية ، وإنما كانت أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه .[٣٢]

وهكذا تتوافق تفسيرات نحاتنا وعلمائنا في بعض معالجاتهم للأساليب والتراكيب اللغوية مع كثير من المفاهيم التداولية التي انتهى إليها أصحاب هذه الفكرة.

ثالثا :**مفهوم الكلام ووظيفته:**

تقوم التداولية في جوهرها على رفض ثنائية (اللغة – الكلام)التي نادى بها "دوسوسير " والقائلة بأن (اللغة) وحدها دون (الكلام) هي الجديرة بالدراسة .ومن ثم فقد اهتمت منذ نشأتها بالبحث عن إجابة لسؤال ، كيف تُنتِج اللغة العلمية أو اللغة العادية الدلالة ؟ وما المؤثرات التي تؤثر في السياق التواصلي لمستعملي تلك اللغة ؟ وبناء عليه

[٣١] انظر : التداولية عند العلماء العرب ،ص ٢٠٣

[٣٢] انظر :السابق ص١١

ميزت من البداية بين اللغة المتلفظ بها وكونها خالصة للتواصل الإنساني ،وبين اللسان الذي يمثل بنية عُليا متحكمة في التواصل[٣٣] . فذهب "فيتجنشتاين" إلى القول بإمكانية أن نفرق بين لغة وكلام أو بين قاعدة وتطبيق للقاعدة ، موضحا أنه لا توجد لغة خالصة لسببين : الأول : أنه لا يمكن على الإطلاق الحفاظ على الفصل المقولي بين اللغة والصورة بالنظر إلى اللغة ذاتها ، فاللغة تقوم دائما أيضا بوظيفة الصورة ، أي تبلغ بعدا غير خطابي ، ومن ثم فاللغة ليست ظاهرة خطابية خالصة .الثاني ، أن اللغة تُقَدم بوصفها جزءا من صيغة حياة ؛ ولذلك ليست القواعد اللغوية – مثل قواعد أخرى – مفسرة ذاتيا ، بل تحتاج إلى غيرها لتفسيرها وإتمام دورها في التواصل ، فاستعمال اللغة – كما يقول فيتجنشتاين – شبيه بلعبة علينا أن نتعلم قواعدها بممارسة اللعبة ذاتها ، موضحا أننا لا نصبح ممتلكِين للسانٍ ما بدايةً بتعلم مجموعة وحيدة من القواعد الوصفية التي تتحكم في استعماله في كل حالة ، ولكن بمشاركتنا في كثير من الألعاب اللغوية المختلفة التي ترتبط كل واحدة منها بصنف من السياق الاجتماعي مخصوص ، ومحددة عبر مواضعات اجتماعية مخصوصة ...، وذهب " لاكان " إلى قريب من هذا في قوله : ليس المهم هو التفريق بين اللغة والكلام ، بل التفريق بين بُعدين في الكلام ذاته ؛ لأنه لا يمكن أن تقدم لغة خالصة متجانسة ، موضحا أن منطوقاتنا اللغوية ذات تطبيق دائما وأن الكلام لا يُوجِهُه وعْيُنا بل مقاصِدُنا [٣٤]. وكما سبق فإن اهتمام التداولية يتجه في الأساس نحو تحويل دراسة الموضوعات من كونها مجرد خطاب . إلى كونها أفعالا منجزة ،تتمثل في أفعال الكلام المنبثقة عن الاستعمال ؛بمعنى أنها ترفض النظر إلى اللغة بوصفها – فقط– نظاما محددا ، يهتم بالسؤال ما اللغة ؟ أو النظر إليها بوصفها بنية وعلامات لغوية يمكن تحديدها وتحليلها بشكل مستقل بعيدا عن السياقات والمواقف الكلامية التي تستخدم فيها ، بل ترى أنه يجب أن تُدرس اللغة في سياق الفعل الإنساني ، ومن ثم ينبغي أن نهتم بالسؤال : فيمَ تستخدم

[٣٣] انظر :التداولية من أوستن إلى جوفمان ، فيليب بلانشيه ،ص ٤٦،٤٧،ترجمة :صابر الحباشة .

[٣٤] لمزيد من الآراء ، انظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، زيبيلة كريمر ، ص ٣٦٢-٣٧٢،ترجمة : سعيد بحيري .وانظر أيضا :لسانيات الخطاب ،ص ٢٠١

اللغة ؟ وأن نهتم بالمنطوق بوصفه فعلا اتصاليا ، لا يمكن أن يُميّز إلا بالنظر إلى مقاصد الكلام ،وداخل سياقات موقفية.[٣٥] .أي: "أن المنهج التداولي يحوّل مجرى الدراسات التي كانت مقتصرة على البنية المجردة لموضوع العبارة – وهو مذهب البنيوية – إلى الدراسة التي تأخذ في الحسبان دراسة هذه البنية لإنجاز العبارة ، أي الحث على تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة ، أو ما يمكن أن ندعوه" تأويلًا تداوليًا للعبارة " [٣٦].

والخلاصة أن ما انتهت إليه النظرية التداولية هو التركيز على ضرورة ربط وظائف اللغة بالسياقات الاجتماعية التي تشتغل فيها الألسنة ، وأن اللغة ليست مجرد رموز تحمل دلالات ومضامين لغوية ، وإنما هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصلية، تهدف إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية ، والتأثير في المخاطَب بحمله على فعلٍ أو تركه أو دعوته إلى ذلك بواسطة الكلمات ،ومن ثم لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية ، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية ، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه[٣٧] .

ولتحقيق هذه الغاية التواصلية اهتمت التداولية بالفائدة التي ينبغي أن يقدمها مضمون القول (الخطاب) إلى المخاطَب ، كما حرصت على وضع الضوابط التي تضمن وصول الرسالة الإبلاغية إلى المخاطب على الوجه الذي يغلب عليه الظن بأنه مراد المتكلم وقصده .

والنظر في هذه المفاهيم يكشف عن مقاربة غير خفية بينها وبين ماورد عن بعض علمائنا القدامى الذين اهتموا في درسهم اللغوي وتناولهم لبعض ظواهر اللغة وأساليبها

---

[٣٥] انظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين ،زيبيلة كريمر ،ص ١٣٣،ترجمة :د.سعيد بحيري ،مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ٢٠١١م.

[٣٦] التداولية: الاهتمامات والمفاهيم والأهداف ، رخرور أمحمد ، نشرت في : زاوية أقلام متخصصة، مجلة القلم النقدي الاكترونية .وانظر :اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، لزيبيله كريمر ،ص ١٣٣ومابعدها ، ترجمة د.سعيد بحيري ،مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠١١م.

[٣٧] انظر : لسانيات الخطاب ،ص ٢٠١ و التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ،ص ١١

بالفائدة التي يحققها الخطاب ، والشروط والضوابط التي تُسهم في تحقيق ذلك ،كمراعاة "قصد المتكلم " أو غرضه من الخطاب ، ومراعاة حال السامع ، والظروف والملابسات التي يتم فيها الخطاب والتي يمكن أن تؤثر بشكل ما في نجاح التواصل اللغوي .

ومن ثم رأيناهم يشترطون تحقق " الفائدة " في كل منطوق حتى يصير كلامًا مقبولًا ، وجدنا ذلك عند سيبويه الذي صنف الجملة العربية والكلام من ناحية الدلالة أصنافًا راعى فيها ما تحمله من فائدة للمخاطب ، ذكرها في قوله:

..فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وسآتيك أمس.وأما المستقيم الكذب فقولك: حَملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ " ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشربُ ماءَ البحِر أمس.[٣٨]

ويلاحظ أنه عند حديثه عن "المحُال " اكتفى بذكره ، دون نعته بمستقيمٍ أو حسنٍ ، مما يدل على عدم كفاية هذا الصنف التواصلية وعدم قدرته على الإنجاز لخلوه من الفائدة . إذ لا تحصل "الفائدة " لدى السامع – في تصور نحاتنا وعلمائنا القدامى – إلا باستيفاء بعض الشروط التي يكون بها الكلام " كلاماً " أي خطابًا متكاملًا يحمل رسالة إبلاغية واضحة يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب ، ومن أهم هذه الشروط : "ثبوت معنى دلالي عام للجملة ، وأن تكتمل النسبة الكلامية للجملة ، فتحدث للسامع فائدة من الكلام يكتفي بها ، فإذا انتفى أحد هذين الشرطين ، فإن الجملة تفقد أهم شروط صحتها وهو حصول الفائدة "[٣٩]، التي هي مناط الكلام ، ومن ثم لا يصح تسميتها جملةً أو كلامًا ، وقد عرف ابن جني الكلام بقوله : الكلام ، كلّ لفظٍ مستقلٍ بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون " الجمل " ، وقال في موضع آخر : "

[٣٨] الكتاب ، لسيبويه ، ص ، تحقيق : عبد السلام هارون .

[٣٩] التداولية عند علماء العربية ،ص ١٨٧

كل لفظ استقل بنفسه ، وجنيت معناه ، فهو كلام ."[٤٠] وقال الخفاجي: الكلام هو الصوت الواقع على بعض الوجوه، وهو ما أراده ابن جني حين قال: الكلام في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها، أهل هذه الصناعة، الجمل على اختلاف تركيبها. وقال الكفويّ :الكلامُ : القَوْلُ، معروفٌ،وقيل الكلام: ما كان مُكْتَفِياً بنفسه وهو الجملة..[٤١] فمن قال الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام سمي الكلام في الأزل خطابًا ؛لأنه يقصد به الإفهام في الجملة ،ومن قال هو الكلام الذي يقصد به إفهام من هو أهل للفهم على ما هو الأصل لا يسميه في الأزل خطابا."[٤٢]

وعرف ابن هشام الكلام في قطر الندى ،بقوله : (لفظٌ مفيدٌ) واللفظ هو : الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقاً كـ (زيد)...وقوله (مُفِيدٌ) أي يصح الاكتفاء به. نحو : القراءةُ مفيدةٌ. فهذا كلام. لأنه لفظ يصح الاكتفاء به ؛ إذ لا ينتظر السامع شيئاً آخر يتوقف عليه تمام الكلام. ويحسن – أيضًا – سكوت المتكلم عنده . والمفيد بهذا المعنى يستلزم التركيب ، أي وضعه على شكل (جُمل). ولما ذَكر أن التركيب الذي يفيد فائدة تامة يسمى (كلامًا) ذكر أن أقل ما يتألف منه الكلام المفيد هو : اسمان، أو فعل واسم، نحو : الحياةُ متاعٌ. فهذا التركيب تألف من اسمين أحدهما : (الحياة) والثاني :(متاع) ، ولو أخذنا كل كلمة على حِدة لم نفهم إلا معنى مفرداً لا يكفي للتخاطب.

ونحو : استفاد الطالبُ. تركيب مؤلَّف من فعل وهو (استفاد) واسم وهو (الطالب)، ثم قال : وقد يتألف الكلام من أكثر من ذلك.[٤٣]

وهكذا يتفق النحاة على أن الجملة لا تسمى جملةً ولا كلامًا حتى يكون لها معنى يفهمه السامع ،وإلا كانت لغوًا ، وينبغي أن يكون هذا المعنى أمرًا مشتركًا بين الناطقين بذلك

---

[٤٠] انظر : الخصائص ص ١٨،١٧

[٤١] لسان العرب ، ابن منظور المصري ،دار صادر ، لبنان .

[٤٢] الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق :عدنان درويش ،دار الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٨م

[٤٣] انظر : قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام ، ص

اللسان كلِّهم ، بحيث يفهمونه على حدٍ سواء ، لأن فهمه هو هدف العملية التواصلية .وعليه فقد اهتموا بذكر الشروط التي تتوقف عليها الإفادة والفهم ، ومنها مطابقة الكلام لمقتضى حال السامع ومراعاة قواعد اللغة المتعارف عليها بين أفراد الجماعة اللغوية كـ (التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ...) فمن ذلك مثلا : اشتراطهم في المبتدأ أن يكون معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة ، صرح بذلك ابن السراج وغيره من النحاة في قوله: " إنما امتنع الابتداء بالنكرة المحضة ؛ لأنه لا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به. "[٤٤] ونقل الرضيّ الاستراباذيّ عن ابن الدهان قوله : "إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي النكرات شئت ، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب مضمون الكلام ..."[٤٥]

وقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليله بعض التراكيب والمعاني المستفادة منها على قرينة التعيين أو التعريف والتنكير على نحو يُظهر اهتمامه بالجوانب الإنجازية التي تحققها تلك التراكيب في سياقاتها ، فيقرر أن من أغراض التعيين وأحواله المختلفة أنك تقول:" زيد منطلق ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي ... ثم يوضح ذلك بقوله : واعلم أنك إذا قلت : زيد منطلق ، كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقًا كان لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيده ذلك ابتداءً ، وإذا قلت :زيد المنطلق ، كان كلامك مع من عرف أن انطلاقًا كان إما من زيد وإما من عمرو ، فأنت تُعلمه أنه كان من زيد دون غيره .."[٤٦] فعبد القاهر هنا يؤكد على أن لكل بنية تركيبية معناها ومقصدها ، أو لنقل غايتها التداولية التي تؤديها في سياقٍ معين ، وأن لكل جملة أو كلام وظيفته الإبلاغية التي يقدمها وفق ملابسات الخطاب والغرض منه ، مراعيًا في ذلك حال المخاطَب والفائدة التي يتحصل عليها من الخطاب .وبهذا الفهم وذلك الأداء يقترب النحاة من المبادئ التداولية التي تفرق بين اللغة بوصفها قواعد مستقرة في الأذهان وبين الكلام

[٤٤] انظر : الأصول في النحو ، ابن السراج ، ٥٩/١ ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٩٩٦م.

[٤٥] شرح الكافية ، رضي الدين الاستراباذي ، ١/ ٣٠٢

[٤٦] انظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ١/

الذي ينتجه أصحاب تلك اللغة لإنجاز أعمالهم وقضاء مصالحهم وإحداث التواصل فيما بينهم ، ومن ثم فقد تجاوزوا في درسهم اللغوي ظاهر العلاقات الداخلية لبنية التراكيب إلى ما وراء ذلك ؛ فدرسوا البعد الخارجي للغة متمثلًا في المقام وقصدِ المتكلم وحالِ المخاطب ،ولفتوا الأنظار بما توصلوا إليه من بيانٍ لأثر تلك المفاهيم في الوصول إلى الفائدة المرجوة من الكلام واهتمامهم بالعوامل الاجتماعية في اللغة،وهو ما أكده الدكتور كمال بشر في قوله :أنهم لم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوي، كما لو كان شكلًا منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به، وإنما أخذوا مادتهم اللغوية – على ما يبدو من معالجتهم لها – على أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، كما فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي، وأن هذه الوظيفة وذاك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوصٍ وأحداث.ظهر هذا كله في دراستهم وإن لم ينصوا عليه مبدأ من مبادئ التقعيد، أو أصلا من أصول نظريتهم اللغوية.

وهذا التوافق أو التقارب في وجهة النظر بين أصحاب النظرية التداولية وما ورد عن علمائنا من تأكيد على فكرة الوظيفة الاجتماعية للغة يقودنا إلى الحديث بشيء من التفصيل عن مفهوم السياق ودوره عند الفريقين .

رابعا :السياق:

تبلورت نظرية " الأفعال الكلامية "على يد " أوستن "الذي كان مقتنعًا إلى حدٍ كبيرٍ بمقولات " مالينوفسكي " خاصة ما تعلق منها بالكشف عن العلاقة بين اللغة والمجتمع ،كقوله : " إن اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة من الأنشطة الإنسانية المتآلفة باعتبارها جزءًا من السلوك الإنساني ، فهي وسيلة من وسائل الفعل ، وليست أداة للتأمل .[٤٧]"وكما سبق ، فقد ذهب إلى أن اللغة لا يمكن درسها بعيدًا عن سياقاتها ، لأن اللغة عادة تستخدم داخل سياق الكلام ،لتأدية كثير من الوظائف، ومن

[٤٧] علم اللغة الاجتماعي ، هدسون ، ١٧٢ ، ترجمة : محمود عياد ، عالم الكتب ،القاهرة ،ط٢، ١٩٩٠م.

ثم كان يرى أن دراسة المعنى يجب أن تتم من خلال الكلام المنطوق في السياقات المتعددة .وعليه فقد قدم مجموعة من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تستخدم للكشف عن أدائية منطوق ما، ومن هذه الوسائل :[٤٨]

_ صيغة الفعل ،كالصيغة المشهورة للأمر وغيره .

– التشديد على الصوت وإيقاعه وتنغيمه بإمالته وغير ذلك من فنون القراءة .

– الظروف النحوية وما تركب منها تركيبا إضافيا أو غير إضافي .

– أدوات الربط بين أجزاء المنطوق كالأدوات .

– ما يُصاحب التلفظ بالكلام ، وعنه يقول : "قد يساعد التلفظ بالكلام استخدام الحركات والإشارات من غمز بالعين وتحريك للأيدي ، ورفع للكتف، و تقطيب للوجه، أو عبوسه ،وغير ذلك ".

– ملابسات وأحوال التلفظ بالعبارة ، وعنها يقول:"إن ظروف النطق بالعبارة هو أهم مُعين لنا على معرفة الغرض منها".

والتأمل في هذه الوسائل يُظهر اعتماده الواضح على فكرة السياق بنوعيه : السياق اللغوي ، ممثلا في صيغة الكلمات المستخدمة في الكلام ،والروابط و التنغيم والتلوين الموسيقي للمنطوقات ،.الذي يتلون وفق اختلاف المعاني وقصد المتكلم ..وسياق الموقف ،الذي تعددت أركانه لتشمل معضدات الكلام من الحركات و الإشارات المصاحبة للنطق ، وحال المتكلم وهيئته ،وكل ما يُسهم في توضيح غرَضه من الكلام

[٤٨] انظر : نظرية أفعال الكلام العامة .(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)،جون أوستن ، ص ٩٢ومابعدها ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، الدار البضاء ، ١٩٩١م

وإكمال عملية التواصل مع المخاطب ، وهكذا لفت " أوستن " النظر إلى أهمية السياق في التحليل اللغوي بشكل يمكن معه القول بأن اتساقًا ما يتم بشكلٍ لا يمكن إغفاله بين المنطوقات الأدائية والمواقف التي تقال بشأنها .

وقد تطورت نظرية " الأفعال الكلامية "على يد عدد من الباحثين الذين اهتموا بتحليلات "سيرل "ومقولات " أوستن " فزادت العناية والاهتمام بمراعاة حال المستمع أو المتلقي في الحدث الكلامي، وأوجبت على المتكلم أو منتج الكلام ضرورة مراعاة الموقف أو السياق الذي يُقَدم فيه الكلام ؛ لما له من دور في الكشف عن المعنى المقصود ، يقول "لاينز": يتوجب علينا في تحليل الأعمال الكلامية أن نحسب حسابًا لحقيقة أن الجمل تُنطق ضمن سياقات معينة ،وأن جزءًا من معنى نقش الكلام (المنطوق) يُستمد من السياق الذي ينُتج فيه ، ويتضح هذا تمامًا في إشارة التعابير المؤشرة التي يشملها السياق .[٤٩]"

وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن نظرية " الأفعال الكلامية " التي تقوم عليها التداولية والتي تتمحور في الخبر والإنشاء بالمفهوم الذي تبناه " أوستن " تشبه إلى حد بعيد قضايا الخبر والإنشاء في التراث العربي ، خاصة ما جاء منها عند بعض النحاة والبلاغيين العرب ، وأن مطابقة الخبر للخارج أو مخالفته له والحكم عليه بالصدق أو الكذب ، أو خروجه عن مقتضى الظاهر لإفادة معنى يقصده المتكلم ، ومراعاة الظروف والملابسات التي يتم فيها الكلام ، كل هذه المفاهيم نرى لها جذورًا عميقة في الفكر اللغوي العربي ، خاصة فكرة السياق التي استخدمها النحاة بمدلولها اللغوي العام، وإن لم تحمل المفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعًا فيما بعد بين علماء اللغة المحدثين ،فقد ورد لفظ السياق في تراثنا العربي بهذه الصيغة وبغيرها من الصيغ بكثرة

[٤٩] اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز ، ص ٢٠٠، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م

، سواء عند اللغويين و البلاغيين أو المفسرين والأصوليين ، إلا أن تتبع اللفظة يكشف عن أمور منها :

- أنه استعمل في هذه العلوم استعمالات مختلفة قابلة لتعدد الدلالة واختلاف الفهم .
- أنه مع تعويل القدماء على السياق والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها ، " إلا أنه لم يعتد به مصطلحًا قائما في العلوم المشار إليها ، بدليل أنه لم يوضع له تعريف معين ، ولم يجر له في كتب الاصطلاح ذكر ."[٥٠]
- أن سياق الموقف ، أو (دلالة الحال) كان يشار إليه في كتب اللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين ، باصطلاحات أخرى تتقاطع مع المفهوم نفسه ، نحو : الحال ، الحال المشاهدة ، المقام ، القرائن الحالية ، قرينة الحال ، الموقف الكلامي ، سياق الموقف ...إلخ .[٥١]

وقد استخدم البلاغيون وبعض النحاة مصطلحي "دلالة الحال " و " المقام"للدلالة على القرائن الخارجية ذات الصلة المباشرة بالمتكلم ، أو المخاطب ، أو الظروف المحيطة بالكلام ، أو ما يمكن تسميته " الحالة العامة للكلام باعتبار المكانة الاجتماعية لطرفي التخاطب ، ويلاحظ أن هذا الاستخدام يكاد يتقارب في كثير مع المفاهيم التداولية للغة .ويزداد هذا التقارب وضوحًا عند علماء الأصول في بعض إشاراتهم ،ومنها قول " السرخسي " – الذي بين فيه حد أقسام اللفظ من حيث الوضوح – إذ يقول:"ومنه ما يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرًا

[٥٠] دلالة السياق ،ردة الله بن ضيف الله الطلحي ، ص ٤١، وانظر :التعريفات للجرجاني ، والكليات للكفوي ، ومعجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب .

[٥١] انظر : دلالة الحال ودورها في الدراسات النحوية ، ص ٨ ومابعدها ،كمال سعد أبو المعاطي ، رسالة ماجستير ،بدار العلوم –جامعة القاهرة ١٩٩٠م

بدون تلك القرينة "[٥٢]وقد وضح ذلك بقوله : "وهذه القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم، وتكون فرقًا فيما بين النص والظاهر هي السياق ، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام[٥٣]".وقد قدم لذلك أدلة وشواهد تؤكد أن المفهوم من السياق هو الغرض، أو قصد المتكلم من إيراده الكلام. ويأتي اهتمام المفسرين بأسباب النزول التي تمثل الملابسات التي أنتج فيها النص ممثلا في اهتمامهم بأقوال الصحابة ثقة منهم بأنهم أدرى بما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها دون غيرهم ، ومن ثم فإن قول الصحابي يؤخذ به في التفسير لما شاهده من القرائن والأحوال ؛ ولمعرفته بمقام التنزيل[٥٤] .وكذا اهتمامهم بالقصص القرآني وما يحويه من عناصر القصة ممثلة في الأحداث والزمان والمكان والأشخاص التي تدور بها وحولها القصة ، لتؤكد على إدراكهم و عنايتهم بالسياق بنوعيه المقامي والمقالي ، فقد وجهوا عنايتهم إلى معرفة قصد المتكلم وتحديد مرماه ، وأفردوا لذلك أبوابًا من بحوثهم تناولوا فيها قصد الشارع وقصد المكلف؛ لإدراكهم أن لمعرفة قصد الخطاب دخل كبير في توجيه الدلالة[٥٥]" .كما فطن المفسرون والأصوليون إلى :أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وأنها تؤدي دورا مهمًا في حياة المجتمع وأنها نشأت تلبية لحاجات الإنسان في حياته الاجتماعية ، وهو ما اعتادوا على أن يعبروا عنه بسبب الوضع[٥٦].وهذا الفهم يتقارب مع المفاهيم التداولية التي ترى أن إنجاز

[٥٢] اصول السرخسي ،١٦٤/١، تحقيق:أبو الوفا الأفغاني ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٣م.وانظر : أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، بيروت ، دار الفكر العربي .

[٥٣] أصول السرخسي ، ١/ ١٦٤

[٥٤] انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٢٢٩/٢

[٥٥] التصور اللغوي عند الأصوليين ، السيد أحمد عبد الغفار ، ص ١١٣، دار المعرفة الجامعية – الأسكندرية ،١٩٨١م.

[٥٦] دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر حمودة ، ص ٢٢٥ ،الدار الجامعية ، ١٩٨٣م .

الأعمال وتلبية الحاجة الإنسانية والمساعدة في تسيير الحياة بكافة أشكالها وظيفة من أهم وظائف اللغة ، أو لنقل الكلام .

. وخلاصة ما تقدَّم أن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة في صورتها المنطوقة أثناء الاستعمال منذ البداية ومثال ذلك ما سبق ذكره من تقسيم سيبويه لأنواع الكلام ، وما ذكره السيوطي من أن اللغة تؤخذ استعمالا لا قاعدة، فقد بنى كتابه (الاقتراح في علم أصول النحو) على أن الأصل في كل ظاهرة هو ما نطقت به العرب ، وذلك قوله : "إذا أتاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه"[٥٧]. ويظهر من خلال ذلك قيمة الاستعمال بالنسبة للغة، وأهميته في تحديد أساليبها وطرائق أدائها. وبوجه عام فإننا إذا ما نظرنا إلى علوم تراثنا العربي من نحو،و بلاغة،و فقه وأصول، وتفسير وقراءات، بعدِّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، يمكن أن نميز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية، نحو :منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، وحالة كل منهما ،وظروف التواصل، الزمانية والمكانية التي يتم فيها الكلام ، كما يمكننا أن نلمح كثيرًا من ملامح المنهج التداولي، خاصة بعض المبادئ و المفاهيم الإجرائية التي اعتمدها علماؤنا في فكرهم اللغوي وفي درسهم اللغة بمستوياتها المختلفة .سواء جاءت هذه المبادئ صريحة في أقوالهم أو ضمنية في تحليلاتهم وهي جديرة ببحوث مستقلة تعرض جانب الاهتمامات التداولية في مختلف تلك العلوم التي حظي طرفا الخطاب فيها (المتكلم والمخاطب)باهتمام بالغ ، خاصة فيما يتعلق بجانب القصدية لدى المتكلم والإفادة لدى المخاطب .

[٥٧] الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، ص١١٦ ، تحقيق : محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط١، ١٩٩٨م.

المراجع

- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، تحقيق :عبد الرحيم محمود،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٨٢م.
- أصول السرخسي ، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ، بيروت ، دار المعرفة ١٩٧٣م.
- أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، بيروت ، دار الفكر العربي .
- الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق :محمد حسن الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م
- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ،دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان ١٩٩٤م.
- تجديد المنهج في تقويم التراث ،طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي ، المغرب ،١٩٩٣م.
- التداولية :الاهتمامات والمفاهيم والأهداف ،رخرور أمحمد،مجلة القلم النقدي الألكترونية .
- التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د.مسعود صحراوي ،دار الطليعة ، بيروت ،٢٠٠٥م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة : د. صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى ، سورية ٢٠٠٧م.
- التركيب والدلالة والسياق ،دراسة نظرية ،محمد أحمد خضير ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، ٢٠١٠م.

- التصور اللغوي عند الأصوليين ،السيد أحمد عبد الغفار ، دار المعرفة الجامعية ،الأسكندرية ،١٩٨١م.
- التفكير اللغوي التداولي عند العرب ، مصادره ومجالاته ،خلفة بوجادي
- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق :محمد علي النجار .
- دراسة المعنى عند الأصوليين ، طاهر حمودة ، الدار الجامعية ، الأسكندرية ،١٩٨٣م.
- دلالة الحال ودورها في الدراسات النحوية ، كمال سعد أبو المعاطي ، ماجستير بدار العلوم ١٩٩٠م .
- دلالة السياق ، ردة الله بن ضيف الله الطلحي ، منشورات معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،١٤٢٤هـ.
- علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ،شاهر الحسن،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١،عمان ،الأردن ،٢٠٠١م.
- في اللسانيات ونحو النص ،إبراهيم محمود خليل ،دار المسيرة للنشر ،عمان ، الأردن ،ط٢،.٢٠٠٩م.
- القاموس المحيط ،الفيروزابادي ،دار الجبل ، بيروت .
- الكليات . لأبى البقاء الكفوى معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،تحقيق :عدنان درويش ومحمد صبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٨م .
- لسانيات الخطاب ، الأسلوبية والتلفظ والتداولية ، صابر الحباشة ،دار الحوار ، سورية ،٢٠١٠م.
- لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، لبنان ،ط١،.١٩٩١م.

- اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، أحمد المتوكل ،منشورات عكاظ ، المغرب ١٩٨٩م.

- اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين ، زيبيلة كريمر ، ترجمة : د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠١١م .

- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة :عباس صادق الوهاب ، بغداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، سلسلة المائة كتاب ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- اللغة ودلالتها ،تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ،محمد سويرتي ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت مج ٢٨ ، يناير – مارس ٢٠٠٠م.

- مختار الصحاح ، للفخر الرازي ، دار الجيل ، بيروت ،لبنان ١٩٨٧م.

- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ،تحقيق وضبط: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ،١٩٩١م.

- مقدمة في أصول التفسير ، أحمد بن تيمية ، تحقيق :محمود محمد نصار ، مكتبة التراث الإسلامي .

- من قضايا الفكر اللساني ،في النحو والدلالة واللسانية ، صابر الحباشة ، الإصدار الأول ' دار صفحات للدراسات والنشر ،سورية ،دمشق ٢٠٠٩م.

- نظرية أفعال الكلام العامة ،(كيف ننجز الأشياء بالكلمات) جون أوستن ، ترجمة :عبد القادر قنيني ،الدار البضاء ، المغرب ،دار إفريقيا الشرق ١٩٩١م.

- الوظائف التداولية في اللغة العربية ،أحمد المتوكل ، المغرب ،ط١،منشورات عكاظ ١٩٨٩م.